

المحاضرة الخامسة

خصائص الثقافة وعناصرها

خصائص الثقافة

كما ينفرد الإنسان عن جميع المخلوقات بقدرته علي صنع الثقافة ، كذلك ينفرد كل مجتمع بشري بخصائص ثقافية تميزه عن باقي المجتمعات . وهناك خصائص عمومية للثقافة ويمكن تحديد أبرزها فيما يلي :

- **الثقافة إنسانية :** فهي تخص الإنسان فقط لأنها نتاج عقلي ، والإنسان يمتاز عن باقي المخلوقات بقدرته العقلية وإمكاناته الإبداعية ، ولا يشارك الإنسان في هذه الظاهرة “ الثقافة ” أيا من المخلوقات الحية . فالثقافة من صنع الإنسان ولا تنتقل إلا من خلاله . فلا وجود للثقافة دون مجتمع إنساني ولا وجود للمجتمع الإنساني دون ثقافة ما .

- **الثقافة مكتسبة :** فالثقافة ليست شيئا غريزيا أو فطريا أو ينتقل بيولوجيا ، ولكنها مكونة من عادات واتجاهات مكتسبة يتعلمها كل فرد خلال خبرته الذاتية بعد ولادته من خلال صلتته وعلاقته بالآخرين . فالأطفال علي سبيل المثال حين يشبون في أسرهم وجماعاتهم فإنهم يكتسبون عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية طرق السلوك والتفكير والاعتقاد والشعور التي يفصح عنها آبائهم وأقربائهم وجيرانهم .

- **الثقافة كل أو نسيج متكامل :** فلا تتكون الثقافة من مجموعة من الأعمال والأفكار المنعزلة عن بعضها ، وإنما تتكون من كل متداخل العناصر متكامل الأجزاء . وقد يكون التداخل أو التساند وظيفيا كما يقول الوظيفيون ، وقد يكون نوعا من التكامل البنوي كما يقول البنويون .

- **الثقافة انتقالية وتراكمية :** تنتقل الثقافة من جيل الي جيل في شكل عادات وتقاليذ ونظم وأفكار ومعارف يتوارثها الخلف عن السلف عن طريق المخلقات المادية والرموز اللغوية ، كما أنها تنتقل من وسط اجتماعي الي وسط اجتماعي آخر . وبهذا المعني فأنها تراكمية ، فالإنسان يستطيع أن يبني علي أساس منجزات الجيل السابق أو الأجيال السابقة ، فهو ليس في حاجة الي أن يبدأ دائما من جديد .

- **الثقافة أفكار وأعمال :** لم يقف الإنسان عاجزا أمام البيئة وإنما أقام معها علاقات أخذت أبعادا ثلاثة : مادية وفكرية ورمزية . فمن خلال البعد المادي تحولت علاقة الإنسان مع البيئة الي أعمال ومنجزات ، بدءا بالآلات والأدوات الي المنازل والمدارس والمصانع ... وكل عمل إنساني من هذه الأعمال لا يمكن أن يتحقق ما لم تسبقه فكرة وإرادة وتنفيذ . وهكذا فالبعد المادي لا يخرج عن كونه أفكارا تم تجسيدها في أعمال .

- **الثقافة متباينة المضمون ومتشابهة الكل :** تختلف الثقافات في مضمونها اختلافا كبيرا وقد يصل الاختلاف الي درجة التناقض ، بحيث نجد أن النظم التي يتبعها مجتمع ما ويعتقد أنها الفضيلة بعينها قد تعتبر أمرا مخالفا في مجتمع آخر وقد يعاقب عليه القانون . فمثلا يستطيع العربي المسلم المقيم في دولة عربية أن يتزوج امرأتين أو ثلاثة أو أربعة في ظروف معينة ، أما في الولايات المتحدة الأمريكية فيعد ذلك جريمة تعرف باسم “ جريمة تعدد الزوجات ” ويعاقب عليها الفرد حتي ولو كان مسلما .

وبالرغم من إن الثقافات متنوعة في مضمونها لدرجة التناقض ، فإن الإطار الخارجي لجميع الثقافات واحد ومتشابه . ففي كل ثقافة نجد أشكالا ثقافية واحدة مثل نظام العائلة واللغة والدين والفنون والنظم الاجتماعية الخ..... والتشابه هنا ينصب علي الشكل العام الخارجي للثقافات .

- **الثقافة مثالية وواقعية :** يمكن القول بأنه الي درجة كبيرة فان عادات الجماعة والتي تتكون منها الثقافة توضع في معايير مثالية أو أنماط سلوك مثالية ينبغي علي أعضاء الجماعة أو أفراد المجتمع أن يحتذوها أو يمثلوا لها . والثقافة أيضا واقعية من حيث أنها تمثل السلوك الفعلي والواقعي في المجتمع .

- **الثقافة اشباعية :** فالثقافة دائما تشبع الحاجات البيولوجية الأساسية والحاجات الثانوية المنبثقة عنها . فعناصر الثقافة وسائل مجربة لإشباع الدوافع الإنسانية في تفاعل الإنسان بعالمه الخارجي . ويترتب علي كون الثقافة اشباعية وجود تشابهات ثقافية واسعة المدى بين المجتمعات ناتجة عن الحقيقة القائلة بأن الدوافع الإنسانية الأساسية تتطلب أشكالا متماثلة من الإشباع

- **الثقافة تكيفية :** إن الثقافة تتغير وتتميز عملية التغير الثقافي بأنها عملية تكيفية ، فتميل الثقافات – خلال فترات زمنية معينة – الي التكيف مع البيئة الجغرافية ، وتتكيف الثقافات أيضا عن طريق الاستعارة والتنظيم وذلك بالنسبة للبيئة الاجتماعية للشعوب المجاورة ، وتتكيف الثقافات لنفسها كذلك ، بمعنى أن تكيف للتغيرات المختلفة التي تطرأ علي مظاهرها بسرعات مختلفة . وأخيرا فان الثقافات عليها أن تتكيف للمطلوبات البيولوجية والسيكولوجية للكائن الحي .

- **الثقافة انتقائية :** يتم انتقال الثقافة من جيل الي آخر علي نحو مختلف كل الاختلاف عن توارث الصفات الجسمية والحيوية في اغلب الكائنات الحية . فقوانين الوراثة الحيوية ثابتة مطردة الي حد بعيد ، أما انتقال الثقافة فلا يتم بمثل هذه الآلية والحتمية ، بل يتم غالبا عن وعي وإدراك وانتقاء . ولكن يجب أن نبرز تلك الحقيقة الجوهرية وهي أنه ليس معني الانتقاء هنا أن لنا اختيارا تاما في قبول عناصر ثقافية أو رفضها . فما لا شك فيه أن هذه العناصر تعلق علي مشيئتنا الي حد ما ، وغاية ما هنالك أن قبولنا الواعي لعناصر الثقافة يجعل لنا نوعا من القدرة علي تكيفها تبعا لظروفنا والوقوف منها موقف الانتقاء لا موقف التلقي السلبي .

- **الثقافة مجتمعية :** بمعنى أنها عادات المجتمع ، ويلزم علي جميع أفراد المجتمع إتباعها غير أنه لا تتمتع كل النظم الثقافية بذلك الشمول في التطبيق ، بل إن عددا كبيرا من النظم يطبق علي جماعة معينة داخل المجتمع الواحد ولا يطبق علي الجماعات الأخرى .

ويمكن تقسيم النظم الثقافية علي أساس مدي شمولها الي ثلاثة أنواع :

أ – **العموميات :** وهي النظم الثقافية التي يتبعها كل أفراد المجتمع . ومن أمثلة ذلك اللغة في المجتمعات البدائية خاصة ، فانه يندر أن يعرف أحد من أفراد القبيلة لغة غير لغة قبيلته . وتعتبر العموميات قليلة لعدد النظم الثقافية الأخرى في المجتمع ، وتؤدي دورا هاما في تماسك المجتمع وترابطه نظرا لشمولية تطبيقها .

ب – **المتغيرات “البدائل” :** وهي مجموعة من النظم والعناصر الثقافية الي تطبق في موقف معين ولل فرد الحرية في اختيار أحدها وترك الباقي . ومن أمثلة ذلك نظام الزواج في الثقافة الإسلامية ، فالمسلم يستطيع أن يتزوج زوجة واحدة أو زوجتين أو ثلاثة أو أربعة ، وذلك في إطار ظروف وشروط معينة . ومثلا يستطيع الفرد أن يتعلم أي حرفة“ من الحرف التي توافق عليها ثقافته غير أنه ليس من المباح قانونا أن يتعلم الفرد “ النشل”

ولكنه يستطيع أن يختار قيادة السيارات أو الزراعة أو التجارة أو الهندسة وما الي ذلك . ويجب هنا ألا يفهم أن هذه الحرية لا قيود لها ولا حدود عليها ، وإنما هناك حدود تضعها الثقافة ذاتها .

ج – **الخصوصيات :** يشتمل كل مجتمع علي تقسيمات فرعية في داخله ، وتزداد تلك التقسيمات كلما تقدمت ثقافته وزادت درجة التخصص بين أعضائه ، وتتميز كل جماعة بنظم وعناصر ثقافية خاصة بها ولا توجد في كثير من الأحيان عند غيرها . فإذا نظرنا الي مجتمع مدينة الرياض مثلا نجد بداخله الآلاف من التقسيمات

الفرعية ، وكل قسم يشتمل علي جماعة متماسكة الأجزاء لها نظمها الثقافية الخاصة بها ، فهناك جماعات العمال والطلبة والأطباء والصيادلة والمهندسين والمحاسبة والضباط والتجار... الخ

ويطلق علي كل تلك الأنماط الخاصة التي تميز الجماعات داخل المجتمع "الخصوصيات"

عناصر الثقافة " أقسامها "

يذهب كثير من المفكرين الي تقسيم الثقافة الي عنصرين :

أ - عنصر مادي : ويشمل كل ما يتعلق بالسكن والمأكل والمشرب والملبس والأدوات والتكنولوجيا وما الي ذلك .

ب - عنصر لا مادي " معنوي " : ويشتمل علي الآراء والأفكار والقيم الاجتماعية ، أو يشتمل بصفة عامة علي كل العناصر المجردة التي توصل إليها الإنسان كاللغة والآداب والعلوم والفنون والقوانين وما الي ذلك . لا يقسم " روبرت بيرستد " الثقافة الي عناصر ثلاثة هي :

1 - الماديات : وهي تمثل الجانب الأكثر وضوحا والأيسر فهما من عناصر الثقافة . ويشير هذا العنصر الي كل الأشياء المادية التي يستحوذ عليها أفراد المجتمع ويستخدمونها في حياتهم .

2 - الأفكار : فالثقافة في أي مجتمع تتضمن طوائف من الأفكار المتصلة بمختلف نواحي

الحياة في المجتمع. وتحرص المجتمعات المتقدمة علي تسجيل هذه الأفكار وحفظها في صورة مؤلفات ووثائق .

3 - قواعد السلوك : تشير الي الطرائق التي يتبعها الأفراد في السلوك والعمل . إن هذه القواعد تعتبر بمثابة أنماط تحدد سلوك الأفراد في مختلف المواقف التي يجدون أنفسهم فيها وفي مختلف قطاعات الحياة.

وعموما يمكن تحديد العناصر الثقافية التي يشيع استخدامها بين الاجتماعيين في : التكنولوجيا، الاقتصاد، التنظيم الاجتماعي، الدين ، المعتقدات، الثقافة الرمزية كاللغة والفنون والتصوير والموسيقى والأدب الخ.... ، العادات ، التقاليد، الأعراف .

المحاضرة السادسة

محددات التفاعل الثقافي وآلياته

الإنسان كائن اجتماعي ، وطالما هو كذلك فانه يعيش حياته في كل زمان ومكان في اتصال مباشر وغير مباشر مع أقرانه ومحيطه. والاتصال هو أبرز آليات التفاعل بين الأفراد والجماعات. والتفاعل تبادلي يمكن ملاحظته داخل الجماعة وخارجها، وهو قد يأخذ ثلاثة أشكال: من شخص لأخر أو من شخص لجماعة أو من جماعة الي جماعة.

لكن آليات التفاعل متعددة تحاكي في كثرتها تعقد الحياة الاجتماعية ، وبالتالي هي حالات لا يمكن تصنيفها بسهولة لأنها في الحياة العملية لا تعمل بمعزل بعضها عن بعض . وقد اخترنا خمس آليات أساسية للتفاعل الثقافي والاجتماعي تتمثل فيما يلي :

1 - التبادل : لطالما اعتبرنا التبادل عملية اقتصادية بحثه ، لكن علماء الاجتماع المعاصرين أوضحوا أن التبادل هو أحد أشكال التفاعل الاجتماعي . يحدث التبادل بين المجموعات سواء كانت كبيرة تحاكي بحجمها الدول الحديثة ، أم صغيرة مساوية لمجموعة الزوجين الأساسية .

محددات وآليات التفاعل الثقافي

إن علم الاجتماع مدين لجورج سيمل في إبراز أهمية التبادل في دراسة التفاعل الاجتماعي . يشير سيمل الي أن التبادل هو إعطاء شكل محسوس للتفاعل الاجتماعي بحيث يصبح واقعة قابلة للقياس نوعا ما . وتتلخص نظرة سيمل بأنه مهما كانت العلاقات حميمة وصادقة ، فإنها تظل متميزة بمعالم التبادل بحيث يقوم سلوك أحد الطرفين علي توقع المكافأة من الطرف الآخر أو الشخص الآخر . ولا يقتصر التبادل علي انه يرسخ روابط الصداقة بين الإقران فحسب ، لكنه يوجد أيضا فوارق في المقام ، فالشخص الذي يوفر لشخص آخر أشياء أو خدمات لا يمكن تعويضها أو مبادلة قيمتها ، لا يضع نفسه في مقام أرفع فحسب ، وإنما في مركز نفوذ وسلطة .

2- التعاون : هو السلوك التضامني أو المشترك لتحقيق هدف ما ، فيه مصلحة مشتركة لجميع الأطراف . والتعاون قد يكون عفويا أو موجهًا أو طوعيا أو قسريا ، رسميا أو غير رسمي ، كبيرا وواسعا أو ضيقا وصغيرا .

وعلي الرغم من ضرورة التمييز بين التعاون والتنافس ، إلا إننا في الحياة العملية قلما نجد هذين النشاطين منفصل احدهما عن الآخر ، ذلك أن التنافس يتطلب علي الأقل حدا من التعاون السابق . وللتعاون أنماط عديدة أهمها أربعة وهي :

أ – التعاون العفوي : وهو أقدم أشكال التعاون وأكثرها تلقائية ، وهو غير محكوم أو

محدد بتقاليد أو عرف . فهو يقوم في الغالب بين الأصدقاء دون حساب للربح أو للحوافز وهو دائما غير مخطط ، انه ظرفي بطبيعته .

ب – التعاون الموجه : حيث يتم توجيه العمل أو السلوك باتجاه هدف مشترك . لكن التعاون هنا ليس عفويا ، ولعل التنظيم العسكري هو أقدم أشكال التعاون الموجه .

علي أية حال سواء كانت آلية التبادل مولدة للصداقة والحب أو للاستياء والكراه ، فأنها احدي أهم العناصر التي تدخل في عداد التفاعل الاجتماعي . صحيح إنها أكثر وضوحا في إطار التبادل الاقتصادي والعقود القانونية ، إلا أنها علي القدر نفسه من الأهمية في إطار العلاقات الشخصية بين البشر .

ج – التعاون التقليدي : وهو ليس عفويا علي الإطلاق ، وكذلك يصعب وصفه بالموجه ، انه جزء من المعايير والتقاليد والأعراف الاجتماعية المتوازنة ، فمجتمع القبيلة نموزج جيد للتعبير عن هذا النوع .

د – التعاون التعاقدية : تعتبر بنود هذا التفاعل محددة ومشروطة بإرادة المشاركين أو محكومة بالأنظمة القانونية . وقد يكون التعاون التعاقدية موجهًا أو غير موجه ، لكنه لا يمكن أن يكون عفويا . انه في كل الأحوال نتيجة للتدبير والتخطيط والتفويض السابق للمسؤوليات والمهام .

3- التطابق : انه السلوك المنسجم أو المتطابق مع المعايير التوجيهية والتحريرية لأية مجموعة اجتماعية ، ومنه تنشأ مظاهر الاتفاق والوحدة التي تزود المجتمع بعناصر قوته وعادة ما يكون الأفراد شديدي التطابق مع تلك المجموعات التي يميلون الي الرجوع إليها وهي التي تسمى “ الجماعة المرجعية ” كالأسرة والعشيرة والقبيلة وجماعة الأصدقاء . إن التطابق هو أحد عمليات السلوك الاجتماعي الأكثر شمولًا واستمرارًا ، ذلك انه يساعد الفرد علي تكيف سلوكه وتكييف نفسه مع معايير معينة ، وذلك انعكاسا لتأثير الجماعة الاجتماعية بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

4 – الإلزام : هو السلوك الناتج عن الإكراه والقهر في الغالب . وقد يبدو الإلزام سلوكا وحيد الجانب لا نمطا من التفاعل ، لكنه مع ذلك لا ينفصل عن الشخص أو الفريق الممارس عليه فعل الإلزام . كذلك يمكن للفرد أن يمارس الإلزام أو الإكراه علي نفسه ، فما نطلق عليه “قوة الإرادة” ما هو إلا شكل من أشكال الإلزام ، يكون فيها الفاعل والمفعول به شخصا واحدا بعينه .

إن للإلزام درجات متفاوتة من الشدة في العلاقة بين البشر والمجموعات ، وهي آلية عامة وشاملة ، لأنها فضلا عن وجودها المستقل نظريا ، لا تعمل بمعزل عن الأنماط الأخرى (التبادل – التعاون – التطابق) .

5 – الصراع : انه السلوك الذي يحمل أفرادا أو مجموعات علي التنافس أو التناحر في ما بينهم لبلوغ هدف يسعى إليه الجميع . ويمكن للصراع أن يندلع في الإنسان نفسه وذلك حين يشتهي الإنسان شيئا لكنه يقاوم تلك الشهوة وينشأ نتيجة لذلك صراع نفسي داخلي . ومع ذلك يبقى الصراع بين الأفراد والجماعات أكثر بروزا وتأثيرا في التعامل الاجتماعي .

إن مظاهر الصراع كثيرة فقد يكون بين شخصين أو بين جماعتين أو بين دولتين ، وقد يكون الصراع بصفة مباشرة ووجه لوجه ، وقد يكون بصفة غير مباشرة حينما يسعى كل طرف لتحقيق مصلحته الخاصة وهو يعلم أن ذلك لن يتم إلا بالحيلولة دون تحقيق مصالح الطرف الآخر ، وقد ينمو الصراع في الخفاء ويتخذ مظاهر غير مشروعة كالقتل والاعتقال والدسائس والمؤامرات . وإذا كان الصراع بين قوتين متكافئتين ، فإنه قد ينتهي الي التعاون بينهما لأن كلا منهما يسأم من استمرار فترة الصراع فتكون النتيجة تقارب وجهات النظر وإمكان الوصول الي حلول وسطي . أما إذا كان الصراع بين قوتين غير متكافئتين فإن النصر يكون حليف الأقوى ولن يستطيع الأضعف الاستمرار في الصراع وغالبا ما ينتهي الصراع بسيادة الأقوى وخضوع الأضعف .

وأخيرا يمكننا القول أنه بدون التفاعل لا يكون هناك حياة اجتماعية أو ثقافية . فبمجرد وضع الأفراد في جوار مادي ينشأ عنه نوع من التفاعل البسيط ، لكنه يأخذ بالتعمق عندما يتحدث أو يعمل الأشخاص والجماعات مع بعضهم البعض في إطار هدف معين أو عندما يتنافسون أو يتشاجر مع بعضهم البعض . وقد يحدث التفاعل ويكون مباشرا وقد يكون رمزيا حين يتكون من أصوات أو إشارات أخرى أو لغة سواء كانت منطوقة أو مقروءة .